دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	جامع الزيتونة و ثلاثة عشر قرنا من الفن المعماري
المصدر:	الأمن والحياة
الناشر:	جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
مؤلف:	هيئة التحرير(معد)
المجلد/العدد:	مج 16, ع 180
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1997
الشهر:	أكتوبر / جمادي الأولى
الصفحات:	44 - 47
رقم MD:	483406
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	المجتمع الإسلامي، المعالم الإسلامية، الحضارة الإسلامية، تونس، جامع الزيتونة، تونس، العمارة الإسلامية، الفنون الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/483406

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جامع الزيتونة

وثلاثة عشر قرناً من الفن المعماري

الزيتونة معلم له مكانته في تريخ الحضارة العربية الإسلامية

إذا كان للعرب تاريخهم الحافل بالعراقة والمجد، فإن لهم أيضاً حضارتهم الزاخرة بالعطاء العلمي الذي قدمته للإنسانية على مر الزمن.. فالعرب أول من أبدع في شتى مجالات العلم.. برعوا في الرياضيات فأجادوا... واشتغلوا بالجبر فأتوا بالعجب، علموا الحساب للناس... ولولاهم لما كان علم المثلثات.. وضعوا أسس الصيدلة ولهم الفضل في إنقاذ الطب من الضياع.. نهضوا بالفلك وأسهموا في تقدم الجغرافيا فصححوا كثيراً من أغلاط بطليموس وكشفوا مناطق لم تكن معروفة في القارات، ووضعوا أصول الرسم على سطح الكرة، باعهم طويل في الأرصاد وأعمال المساحة..

إنهم باعتراف عدد من علماء أوربا أساتذة في جميع فنون المعرفة...

إنهم العرب الذين قدموا للعمران خدمات على مر العصور، فشيدوا معالم تحكي واقع تاريخ حافل بالمجد وحضارة شامخة في وجه كل الحضارات.

التاريخ

تذكر المصادر التاريخية أن مؤسس جامع الزيتونة هو عبيدالله بن الحبحاب الذي تلقى أمراً من هشام ابن عبدالملك بأن يسير إلى أفريقيا فسار إليها سنة ١١٦هـ ووسع مسجد تونس وهو المسجد الذي سمي فيما بعد «جامع الزيتونة» وهناك رواية أخرى تقول إن الذي بنى الجامع هو الحسان ابن النعمان الغساني حوالى سنة ٨٠هـ ثم أكمل بناءه عبيدالله ابن الحبحاب.. ويذكر بعض المؤرخين أن سبب تسمية جامعة الزيتونة بهذا الاسم هو أن بعض العرب المسلمين قد وجدوا زيتونة في موقع الجامع فقال بعضهم هذه الزيتونة تونس، ثم بنى المسجد بعد ذلك بالموقع وأطلق الاسم عليه فأصبح علماً يميزه عن غيره من المساجد الأخرى.

١٣ قرناً بلا انقطاع

وقد حمل جامع الزيتونة مشعل الثقافة العربية ثلاثة عشر قرناً بلا انقطاع، ويقول الدكتور عبدالله لوصيف الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أمسية ثقافية نظمتها السفارة التونسية منذ أيام بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرناً على إنشاء جامع الزيتونة.. إن كلمة بلا انقطاع هنا صحيحة إلاّ في فترة دخول الاسبان الى تونس حينما دخلوا جامع الزيتونة وأبادوا مخطوطاته وأدخلوا خيولهم إلى ساحته فتوقفت الدراسة وتبعثرت مسيرة الحياة العلمية في فترة وجيزة. أما العلوم التي كانت تدرس في الجامع فلا تخرج عن العلوم الشرعية والعربية والتاريخية وقليل من الحساب الذي يساعد على الفرائض والمساحة واستمر هذا العطاء العلمي في تتابع زمني متصل الحلقات تقريبا حيث كانت البداية في العهد الإسلامي وما تبعه من عهود كانت تولي اهتماماً على نسب مختلفة وكان إشعاع جامع الزيتونة يتجاوز أفريقيا.

الموقع الجغرافي والعمراني

جرت العادة في المدن الإسلامية أن يوضع المسجد الأعظم في قلب المدينة الذي تحيط به الأسواق وتلتقي أمام أبوابه الرئيسية محاور المواصلات الكبرى التي تخترق المدينة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب فيكون المسجد بمثابة المركز الجاذب لكل الأحياء، وبالنسبة لمدينة تونس ولجامع الزيتونة بالذات يقوم المعلم الديني وسط شبكة من الطرقات تخترق منطقة الأسواق المسقوفة، يتصدرها محور غربي شرقي وآخر متعامد شمالي جنوبي، يمر الأول أمام الواجهة الشمالية الغربية، ويتألف من سوق الترك وسوق العطارين انطلاقاً من العصبة ثم يتمادى على نهج جامع الزيتونة الذي ينتهي أمام باب البحر. أما الثاني فيمر من نهج الباشا فنهج سيدي بن عروس فسوق القماش وسوق النساء ونهج تربة الباي.

ويقول الأستاذ عبدالعزيز الدولاتلي في أحدث مؤلف له عن جامع الزيتونة، وصدر قبل خمسة أشهر فقط، إن هذا التخطيط قد يجد أصوله في التقاليد الشرقية التي دأب العرب الفاتحون على اعتمادها عندما يقومون بتاسيس الأمصار الجديدة بعد فتح الأقطار كالكوفة

والبصرة والفسطاط والقيروان فلا غرابة إذن في أن نراه مستقلاً في مدينة تونس التي كانت كما هو معلوم ثغراً من ثغور الإسلام ومعقلاً من معاقله الموجهة ضد العدو البيزنطي المسيطر آنذاك على البحر.. إلاّ أنه كذلك يجوز أن يكون من مخلفات المدينة الرومانية التي كانت تعرف سابقاً (توناس) والتي بنيت على أنقاضها المدينة الإسلامية.

المبنى

يشكل محيط الزيتونة حصيناً منحرفاً متوازي الضلعين الشرقي والغربي وغير منتظم الضلعين الشمالي والجنوبي، ويبلغ طول جدار القبلة الخارجي ٦١ متراً والجدار الشرقي ٦٥ متراً والجدار الشمالي ٥٧ متراً والجدار الغربي ٧٦ متراً، وذلك دون اعتبار الإضافات التي أدخلت على الواجهة الشرقية بداية من القرن الرابع الهجري.

أما الركن الغربي الجنوبي من بيت الصلاة فتوجد به المقصورة التي بناها أبو العباس أحمد سنة ٧٥٠هـ وعرفت بمقصورة الخضر التي شهدت مرحلتين من البناء في العهدين الخراساني والحفصي.

وفي نفس الجدار الغربي وفي طرفه الشمالي يوجد قرب المئذنة بناء ذو مدرج وعلو يتمثل أصلاً في المكتبة التي بناها أبو فارس عبدالعزيز سنة ٨٢٢هـ والذي كان يستخدم لإدارة المسجد وهو يفتح من الجهتين من الداخل على الصحن ومن الخارج على الشارع، حاله في ذلك حال كل الإضافات التي جاءت بعد إتمام الهيكل الرئيسي للمبنى المنحصر في الأسوار.

وبصرف النظر عن هذه الإضافات تبرز دراسة مخطط المسجد أنه يخضع عموماً إلى النمط المعماري الأصيل الذي فرض نفسه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة حيث كان يصلي بالمسلمين في بيته تحت ظلة تقيهم حر الشمس تتقدمها باحة كبيرة مكشوفة تستغل عندما يكون الطقس ليناً، ولم يتطور هذا التخطيط كثيراً خلال النصف قرن الذي تلا وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتمده الفاتحون في المساجد التي بنوها في الأمصار الجديدة متبعين تقريباً نفس التقسيم: ظله مسقوفة (ما يسمى ببيت الصلاة) وباحة مفتوحة على السماء (الصحن أو البهو).

بيت الصلاة والبهو

ويمتد جدار بيت الصلاة أمام جدار القبلة، وينتهي أمام الصحن ويحده شرقاً وغرباً جداران متوازيان تقريباً مع انحراف بسيط، فتأخذ القاعة شكلاً مستطيلاً منحرف الضلوع ينقسم إلى بلاطة وستة «أساكيب» موازية لجدار القبلة معدل طول كل واحدة منها ٥٤,٥ متراً وتجتازها ١٥ بلاطة يبلغ طول الواحدة منها ٢٥ متراً ومتوسط عرض كل من الأساكيب والبلاطات فيما بين الأعمدة ثلاثة أمتار عدا البلاطة الموازية لجدار القبلة التي يبلغ عرضها ٤,٣٠م والبلاطة المتعامدة مع المحراب التي يبلغ عرضها ٤,٨٠م، أما البهو فيكون مستطيلاً غير منتظم الأضلاع وأكثر أضلاعه طولاً هو الجدار الشمالي الذي يبلغ ٥٧ متراً وذلك بصرف النظر عن صحن الجنائز الخارجي.

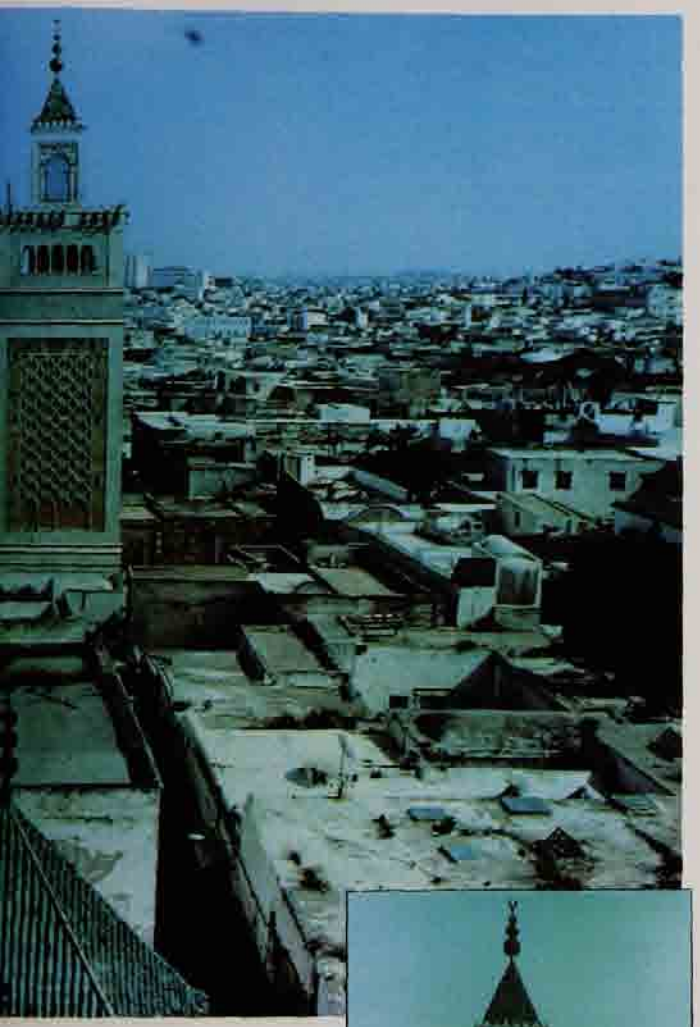

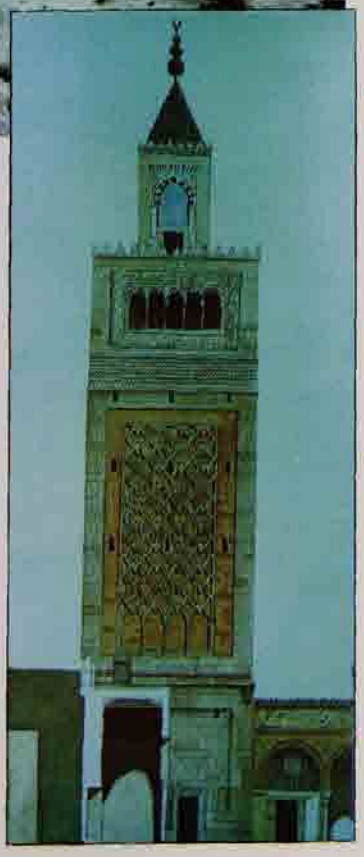

متحف الفنون القديمة

لقد وصف أحد المؤرخين (الزيتونة)

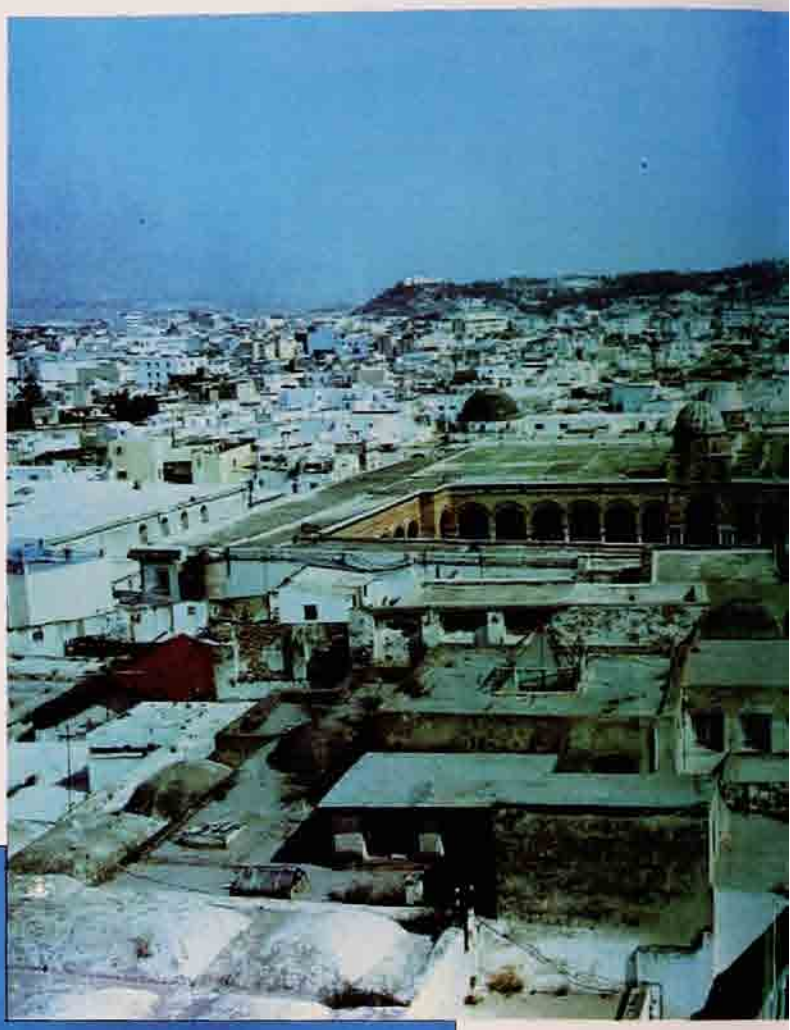

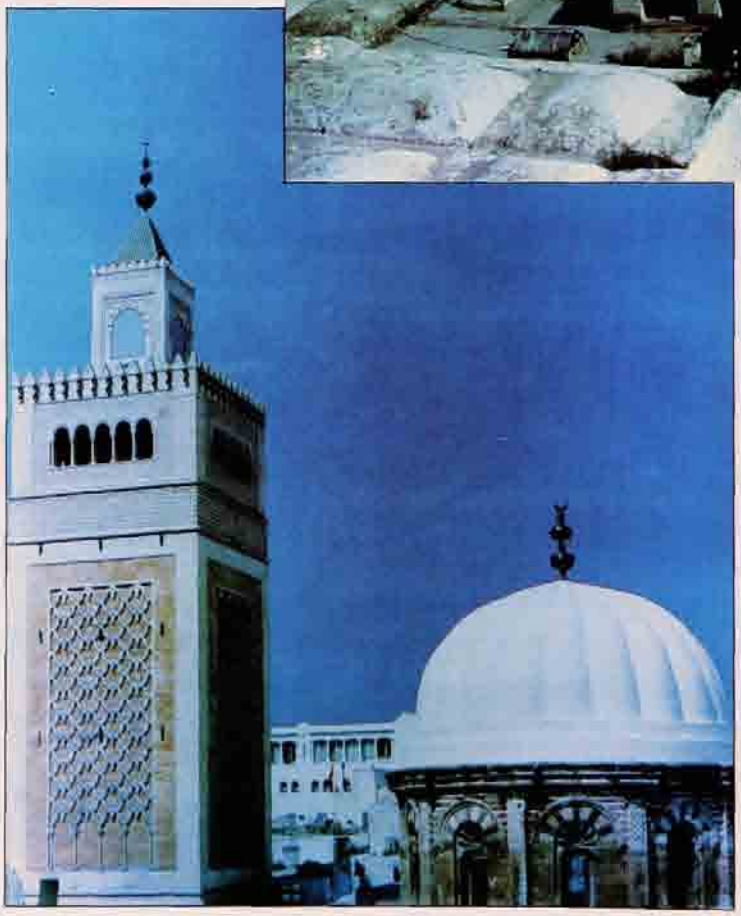

الحجارة الغليظة فقط التي بنيت بها كل جدران المسجد كانت متوفرة بكثرة حتى أن جل المساجد التي بنيت خلال الثلاثة أو الأربعة قرون الأولى من الحكم الإسلامي قد استخدمت فيها هذه المواد القديمة التي أصبحت بمثابة الشواهد التاريخية التي تساعد على تاريخ تلك المباني ونسبتها إلى العصور الإسلامية المتقدمة.

أما التيجان فيصل عددها إلى مائة وثمانين تاجاً جلها رخام أبيض أو أشهب يميل إلى الزرقة مثلما شأن البلاطات وهي تنتمي بأنها متحف للفنون القديمة وقد عثر العمال في سنة ١٩٧٤م أثناء حفرهم لأحد الأسبار داخل بيت الصلاة على ساريتين رخاميتين كاملتين ملقاتين على طولهما وكأنما قد استغني عنهما بعد إتمام بناء الجامع فتركا على عين المكان بعد أن غطيتا بالتراب وفرشت من فوقهما البلاطات مما يقيم الدليل على أن هذا النوع من مواد البناء الثمينة لا

إلى العهود السابقة.

عناية العهد الجديد بالزيتونة

بذلت السلطة الوطنية إثر الاستقلال مجهوداً لم يسبق له نظير في تاريخ المسجد فقد رمم ترميماً كلياً في نطاق حملة واسعة شملت معظم المساجد والمدارس والزوايا والقصور وتدعمت هذه الحملة في ظل العهد الجديد الذي أعاد للزيتونة مجدها في إطار سياسة ترمي إلى تعميق الشعور الوطني بأهمية التراث الأثري والتاريخي كمكسب حضاري وكعنصر من عناصر الأصالة وكشاهد على ما قدمته الربوع التونسية من إسهامات في بناء الحضارة العربية والإسلامية. لقد أجمع المؤرخون على أهمية هذا المعلم وما له من مكانة في ترسيخ الحضارة العربية الإسلامية كمؤسسة دينية وتعليمية، ولقد خص الرئيس زين العابدين بن علي هذه المؤسسة بفائق عنايته ففي الزيتونة لا تنقطع تلاوة القرآن وفيها تنتظم دروس الفقه والعقيدة بحضور عامة المصلين.

فهذا هو جامع الزيتونة، إنه أسبق المعاهد التعليمية العربية وأقدمها، الجامع الذي حمل مشعل الثقافة العربية على مدى ثلاثة عشر قرناً من الزمن. وظل على مدى العصور مناراً وهاجاً للتعليم والبحث منه الفقيه واللغوي والأديب وأصبح أكبر جامعة إسلامية عرفها المغرب.□